

## نهاية دولة المدينة

## مقاربة فلسفية

د. آيت أحمد نور الدين

جامعة سعيدة.

|                            |                             |
|----------------------------|-----------------------------|
| تاريخ النشر: 01/ جوان 2018 | تاريخ الإرسال: 12 مارس 2017 |
|----------------------------|-----------------------------|

## مقدمة:

إن من بين أهم نظريات فلسفة التاريخ، نظرية تعرف باسم التعاقب الدوري للتاريخ، حيث أن أصحابها يعتقدون أن التاريخ عبارة عن تبادل أدوار، ففي كل مرحلة يطلع شعب ما بدور الريادة فيقود ويسود العالم بأسره، لكنه لا يبقى معتليا دور الريادة دائما، بل يأتي عليه يوم ليس كباقي الأيام، فيعصف به ويرديه أرضاً، لبحث التاريخ عن بديل ضمن شعوب العالم فيعتلي شعب آخر المنصة، وعادة ما يكون المنتصر على الشعب الأول فيدخل قمره القيادة، ليمسك بزمام الأمور ويقود العالم ثانية وهكذا دواليك.

إن التاريخ لا يتقدم حسب فيكوفي خط مستقيم، بل في سلسلة من الدوائر الحلزونية المتكررة، وأن كل شعب يمر بثلاثة أعمار: عمر التدين أو الإيمان بالآلهية، عمر البطولية، والعمر الإنساني<sup>1</sup>. وهكذا فالمتبع والمحلل للتاريخ يجد آثار لهذه الحقيقة غير أننا لا نستطيع أن نتبع شعوب العالم كلها، بل سنأخذ نموذجا واحدا هو الشعوب اليونانية التي مرت بهذه المراحل كغيرها، وإليك قراءتنا للموضوع.

1- عمر التدين أو الإيمان بالآلهية : وهي تمثل - في نظرنا - بدايات العصور اليونانية حيث كانت مرتبطة بالآلهة ارتباطا شديدا، تضع لها أسماء وأعيادا وتعتقد أنها تتدخل في مصيرها تدخلا مباشرا، ومن ذلك ما رواه الشاعر اليوناني هوميروس في الإلياذة بخصوص تفاصيل الحرب التي جمعت اليونانيين والطوراديين ( حرب طروادة حوالي 1200 ق م )، والتي انتصر فيها اليونانيون في النهاية. يروي هوميروس إذن أن البطل اليوناني أخيلوس أو أشيل Achilles، وهو ابن أم آلهة المياه ثيتيس Thétis، قد أدخلت جسده وهو صبي في بركة المياه المقدسة وهي تمسكه من عقبه، فغمر الماء كامل جسده إلا

<sup>1</sup> جان توشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2،

هذا العقب، فكان أثناء المعارك التي دامت عشر سنوات يصد ويتصدى لكل الضربات عندما توجه إلى كامل أطراف جسده الذي كانت ترعاه الآلهة، أما عقبه الذي لم يبتل بالمياه المقدسة، فبقي بلا رعاية. ويروي الشاعر أن هذا البطل قد قتل في النهاية بسهام أصابت عقبه<sup>1</sup>.

2- عمر البطولية: وهو الذي شمل العصر الذهبي اليوناني حيث الحكماء والمشرعون والفلاسفة أمثال: فيثاغورس، طاليس، صولون، سقراط، أفلاطون، أرسطو، وغيرهم حيث كان هؤلاء بمثابة مصابيح أنارت وأضاءت طريق البشرية وأيقظت العالم من نومه. فقد بقيت تعاليم أرسطو ألف عام مهيمنة بشكل صارم على المدارس الفكرية والأوساط العلمية حتى قال عنه مؤرخ الفلسفة المعاصرة ويل ديورانت في كتابه 'قصة الفلسفة' وهو يصف تأثير أرسطو في تاريخ الفكر: "لم يتحكم عقل آخر في عقول البشر هذه المدة الطويلة مثل أرسطو"<sup>2</sup>.

ويقول الأستاذ محمد الخطيب في كتابه 'الفكر الإغريقي': "ومع ذلك نجحت المدينة بفضل الفراغ من جهة ونظام الرق من جهة ثانية في ابتكار فكر سام وفن خلاق، وأن يظهر في مدينة كأثينا اثنين من العباقرة مالا يجود الزمان بمثلهم في أنظمة أخرى في قرون"<sup>3</sup>.

3- العمر الإنساني: ويمثل الفترة التي تلت فترة أولئك العظماء، حيث بلغت الأمة اليونانية شيخوختها، فعجزت عن الإبداع ومواصلة تلك الشعلة التي أوقدها أجدادهم لتؤكد - مرة أخرى - على قانون الحياة والموت الذي لا ينطبق على الكائنات الحية فحسب، بل يسري على الأمم والحضارات أيضا. لذا نستطيع القول أن الثقافة والفلسفة اليونانية على وجه الخصوص قد مرت في تطورها بثلاثة أدوار رئيسية هي: دور أو مرحلة النشوء، دور النضوج ودور الذبول أو الافتقار<sup>4</sup>.

وهكذا فقد اجتمعت عوامل داخلية وأخرى خارجية عديدة ومتباينة جعلت من القرن 3 ق م بداية انحلال دولة المدينة وبالتالي وضع حدا لازدهار الحياة الفكرية والفلسفية عند اليونان.

#### أولا - العوامل الخارجية:

على الصعيد الخارجي، فقد عادت الحروب بين أثينا وإسبرطة منذ عام 413 ق م، ثم مع عواصم (دول) أخرى مثل مقدونيا والتي تفوقت كلها على أثينا عسكريا وظهر دول أعظم وأوسع كدولة الإسكندر المقدوني، وبعد موقعة كيرونييا عام 338 ق م فقد اليونانيون استقلالهم وفقدوا حريتهم الفردية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> جمال الدين بوقلي حسن، إشكاليات فلسفية، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2006، ص 101.

<sup>2</sup> ويل ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، 1988، ط 6، ص 123.

<sup>3</sup> محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999، ط 1، ص 281.

<sup>4</sup> حربي عباس عطيتو، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، دط، ص 12.

<sup>5</sup> عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، بيروت، توزيع دار القلم، 1979، ط 5، ص 5.

## ثانيا - العوامل الداخلية :

أما على الصعيد الداخلي، فقد اختفى - جراء هذه الحروب والغزو - ذلك التجانس بين فئات المجتمع وزادت الصراعات الطبقية، وساد الانحلال الخلقي بسبب انتشار البغاء وما ارتبط بها من أزمة مواليد واختلاط الأنسال والأنساب، وزيادة عداوة الطبقة الأوليغارشية للشعب والحدود عليه وإهانته<sup>1</sup> وزالت الحواجز السياسية والاجتماعية التي كانت تفصل اليونانيين (الأحرار) بالبرابرة والأجانب، بالإضافة إلى صغر حجم الدويلات اليونانية وانفصالها وضعفها :

- إن دولة المدينة كانت تحمل منذ نشأتها بذور فنائها وانحلالها، فإلى جانب روح الأثرة والانطواء على النفس وعدم إشراك الغير في الحقوق، تولد عن الارتباط الوثيق بين المدينة - بالمعنى الضيق للكلمة - وبين الريف ، احتكاك بسبب تضارب المصالح السياسية والاقتصادية، وهكذا كانت عوامل التفكك تسري في كيان دولة المدينة. بعبارة أخرى : إن النزعة الاستقلالية التي تفشت بين الدويلات وحالت دون قيام أمة يونانية واحدة، تطورت إلى نزعة فردية بين الأشخاص قضت في آخر الأمر على دولة المدينة<sup>2</sup>.

- كثيرا ما اتهم الفيلسوف بأنه يعيش في برج عاجي بعيد عن المجتمع، لكن هذا طاليس ( فيلسوف يوناني طبيعي عاش قبل سقراط) يمثل الفيلسوف ابن المجتمع الذي يحمل همومه، ويشاركه في أحلامه، لم يكن بعيدا عن المشاركة في السياسة، فقد نصح المدن الأيونية بالاتحاد للوقوف في وجه خطر الفرس. وهكذا كانت الفلسفة في خدمة المجتمع سياسيا واقتصاديا، وكان الفلاسفة على صلة وثيقة بحاجات المجتمع الذي يعيشون فيه<sup>3</sup>.

- وقد رأينا كيف تؤدي الظروف في المناطق الصغيرة بالضرورة إلى اشتداد كثافة السكان واشتداد نبض الحياة الاقتصادية والفكرية، غير أن التركيز في مكان محدد يستتبعه أيضا تركيز في الزمن، ففي المناطق الضيقة تجري حياة الإنسان وحياة الدولة إلى نهايتها بسرعة كبيرة: نمو سريع، شباب قصير مزدهر وشيخوخة مبكرة. وقد كان ذلك هو مصير دولة المدينة اليونانية<sup>4</sup>.

ويتبين في هذا الإطار العام صعوبة، إبداع أو حتى مجرد، نشر فكر سياسي أو فلسفي هيليني، أي يوناني أصيل كالذي نادى به أفلاطون وأرسطو في العصر الذهبي، ولم يكن من المنتظر إذا، كما يقول الأستاذ عبد الرحمن بدوي، أن يقوم الفلاسفة الذين أتوا بعد أرسطو بكشف جديد<sup>5</sup>. ولوحظ فقط ظهور فكر أقل أصالة، فكريا، مستسلم للواقع المنحل، فكريا يعمل على التوفيق ومجرد الدمج

<sup>1</sup> إبراهيم أحمد شلي، تطور الفكر السياسي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1985، ص 137.

<sup>2</sup> عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1976، ص 74.

<sup>3</sup> أحمد فؤاد الأهواني، المدارس الفلسفية، دار مصر للطباعة، الإسكندرية، 1965، ص 9.

<sup>4</sup> عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، مرجع سابق، ص 80/79.

<sup>5</sup> عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، توزيع دار القلم، بيروت، 1979، ط 5، ص 5.

بين آراء متعارضة، كون هذا الفكر ضعيفا وشارك في تطويره أعداد كبيرة من هؤلاء المفكرين العاديين أو الفلاسفة من الدرجة الثانية أو الثالثة من يونانيين وغير يونانيين، خصوصا بعد فتح الإسكندر الأكبر أبواب الثقافة اليونانية للشرق، وفتح أبواب الثقافة الشرقية لليونانيين، فحدث عن هذا الامتزاج بين الثقافتين مزيج جديد في حوض البحر الأبيض المتوسط، شاركت فيه ثقافات شعوب هذه المنطقة، اصطلاح المؤرخون على تسميته بالثقافة الهلينية<sup>1</sup>.

لقد خضعت الثقافة اليونانية (الهلينية) لعناصر أجنبية تتصل بالخوارق والسحر وما لدى هذه الشعوب من ديانات محرفة، ثم أخذت في الاضمحلال حتى أتت على نهايتها. وهكذا كان الإسكندر الأكبر، بفتحه لبلاد الشرق، محنة شديدة على الروح اليونانية<sup>2</sup>.

إذن فقد كان تطور الفكر اليوناني في عصره الرئيسيين، العصر الهليني، أي العصر الذي يبدأ بنشأة الفلسفة عند اليونان في القرن السادس على يد طاليس وحتى أرسطو، والعصر الهلينيستي أي عصر ما بعد أرسطو. فكل عصر له، لاشك، خصائصه المميزة وروحه المختلفة، وبالطبع كان العصر اليوناني الأول هو الممثل الحقيقي لطبيعة الفكر اليوناني الخالص والذي بلغ فيه هذا الفكر قمة تطوره ونضجه<sup>3</sup>.

ومن هذه الاتجاهات الجديدة والمدارس الصغيرة التي ظهرت بعد أرسطو، أي في الفترة الهلينيستية نجد الكلبية، القورينائية، الأبيقورية والرواقية.

#### 1- المدرسة الكلبية: Le cynisme

يعتبر ديوجانس (413 - 327 ق م) Diogène le cynique أحسن ممثل لها. والكلبية أسلوب حياة أكثر منها مدرسة علمية كمدرسة أفلاطون وأرسطو، كان الكليون ينزلون عن مكانتهم الاجتماعية، ويتخلون عن كل خيرات الدنيا، يتسولون ويلبسون لباس عامة الناس، يسلكون سلوك المرضى والمجانين كأن يقف أحدهم دون ثياب تحت المطر في برد الشتاء أو تحت شمس الصيف المحرقة. أما أصل التسمية فجاءتهم من كونهم نصبوا أنفسهم حماة وحراسا على الفضيلة ينبحون على الرذيلة كما ينبح الكلب الحارس عند الخطر<sup>4</sup>.

كان الكليون أقل الناس شعورا بالوطنية وحرصا عليها وأكثرهم ميلا للإنسانية، يفضلون العيش في إطار دول أعظم كدولة الفرس ودولة الإسكندر بدلا من دولة المدينة، وتصوروا السعادة في التخلي عن الحياة في إطار أسرة تعيش مع غيرها من الأسر، وحاولوا الرجوع للحياة البدائية التي لا وجود فيها

<sup>1</sup> محمد علي أبوريان، تاريخ الفكر الفلسفي، دار المعرفة الجامعية، 2007 الاسكندرية، ج2، ط3، ص202.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، مرجع سابق، ص6.

<sup>3</sup> مصطفى النشار، مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص17، 18.

<sup>4</sup> يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، ص212.

لأسر أو دويلات عنصرية بقوانين ظالمة، تميز بين بعض فئات المجتمع فتعدهم مواطنين أحرارا جديرين وحدهم بصفة المواطنة بكامل الحقوق السياسية، فيما تحرم باقي فئات المجتمع الأخرى من الحقوق نفسها. كما تعتبر البعض أسيادا ولدوا كذلك، فيما يولد البعض الآخر عبيدا لهم، وفي مقابل ذلك نادى هذه المدرسة بالرجوع للمبادئ الأساسية السامية للحياة الطبيعية حيث يعيش الجميع في حرية ومساواة.

وبدأت تظهر للوجود فكرتان أساسيتان هما : الفردية والعالمية، خصوصا مع ظهور دولة الإسكندر. أ -الفردية: حيث لوحظ تراجع الفرد واستقلاله تدريجيا عن ممارسة شؤونه الروحية والاجتماعية والسياسية، وصار يتخلى عن العيش مع الجماعة وضمها، وطغا في المقابل صوت الاعتماد على الذات. ب -العالمية: كما أن الناس، على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم، ينتمون جميعا إلى العنصر البشري، ولكل فرد الحق بصفته 'إنسان' أن يخرج عن سلطة المدينة التي ولد بها والتي ينتمي إليها، ويتمسك في المقابل بحقه كمواطن عالمي ينتمي إلى مدينة (دولة) عالمية يتساوى فيها المواطنون جميعا. دستورها العقل السليم، وليس للتمييز الاجتماعي الذي ساد دولة المدينة أي مكان في الدولة العالمية، كما أن الجنسية أو حق المواطنة حق لجميع البشر<sup>1</sup>.

تعقيب: لكن هل من المنطقي أن يصبح المفكر اليوناني، بعد أن فقد كل شخصيته، ينظر إلى جميع الناس بحسبانهم إخوانا ومواطنين عالميين، غير مرتبطين بمدينتهم التي يعرفونها، وخاضعين لقوة خارجية لا يتبين مداها<sup>2</sup> ؟

إذن يبدو أن هذه الدعوة تحمل تناقضا داخليا خفيا، إذ كيف يطلب هؤلاء المفكرون من اليونانيين أن يعتبروا أنفسهم مواطنين أحرارا ينتمون لهذه الدولة العظمى وهي من سلبتهم حريتهم؟

## 2 - المدرسة القورينائية :

لا جدوى من أية مشاركة سياسية أو نشاط في أي مؤسسة اجتماعية كانت، بل على الفرد السعي لتحقيق ما يستطيعه من اللذات، لكن اللذة الخالصة غير موجودة، وأن الألم يغلب عليها، والحكمة هي إلغاء الألم وتجنبه، ولا يكون ذلك إلا بتجنب اللذة. وعندما تخلو الطبيعة من اللذات صارت خامدة وتساوت الحياة مع الموت، وعلى المتعب من الحياة كما يقول هجيسياس 'آخر ممثل للمدرسة' أن يستشفى بالموت، فلعب هجيسياس 'بالناصح بالموت'، وبالفعل فقد نصح العديد بالموت، فاستمعوا له وانتحروا، حتى أغلق الملك بلطيموس هذه المدرسة في أوائل القرن 3 ق م ونفى صاحبها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> إبراهيم دسوقي أباضة وعبد العزيز الغنام، تاريخ الفكر السياسي، دار النجاش، بيروت، بيروت، 1983، ص 80.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، مرجع سابق، ص 7.

<sup>3</sup> يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 213.

لكن لو تأملنا أفكار هذه المدرسة، وقارناها بالمستوى العلمي والفلسفي الذي بلغه أفلاطون وأرسطو، فكيف نقيم هذه الأفكار؟ مدرسة تعلم الناس وتنصحهم بالانتحار؟ أي مستوى نزلت إليه الحضارة والفلسفة اليونانية بعظيم قدرها؟

### 3 - الأبيقورية: Epicurisme

تنسب إلى أببيقور ( 341-270 ق م ) *épiqueure*، تعلم في مدرستي أفلاطون وأرسطو، كون مدرسته التي فتح أبوابها للجميع دون تمييز: ذكور وإناث، أسياد وعبيد.

تقوم فلسفته على طلب اللذات البسيطة الممكن تحقيقها طوال السنة، أما ما زاد عن ذلك فهو غير جدير بالطلب، وهكذا تعد الأبيقورية من أكبر المدارس مع الرواقية في العصر الهيلينستي، حيث قامت على فكرتين محورتين هما: الدعوة إلى حياة اللذة باعتبارها مسألة طبيعية وبديهية في نظر أببيقور، زعيم المدرسة، طالما أننا نمارسها باعتدال، وكذلك الدعوة إلى تجنب الآلام والمخاوف النفسية ومن ثم يعيش المرء حالة الأتراكسيا بما فيها من سلام للنفس وصفاء العقل<sup>1</sup>.

وبهذه الصورة، فالأبيقورية تستخف بالسياسة وتهدمها، ولا ترى للنشاط السياسي أي قيمة، أو ارتباط الإنسان بمؤسسات سياسية أو تجمعات يتداول فيها قضايا الحكم، والبحث عن أفضل نظام حكم، وأي الوسائل أنجع لتحقيق الديمقراطية: القرعة أم الانتخاب؟ كل ذلك لا قيمة له، أو بالأحرى لم يعد له أدنى قيمة، كيف لا والبلاد كلها تحت الاستعمار المقدوني. وعندما شعر اليوناني أنه فقد حريته في العالم الخارجي، راح ينشد نوعا من الحرية في العالم الباطن، ولما كان قد فقد استقلاله السياسي، فقد انصرف عن السياسة انصرافا تاما<sup>2</sup>.

وبهذا الشكل صارت الأبيقورية ترفع شعارا مفاده أن: السياسة شر لابد من تركه إلا إذا كان هناك سبب قوي يدفع إليه'. ولم يعد هناك أدنى سبب يدعو للتفكير السياسي طالما أن اليوناني الذي تمتع بالحرية طويلا قد فقد - بوجه عام - كل شخصيته السياسية، ولم يعد من الممكن أن يعنى بالسياسة بمعناها الحقيقي، لأن السياسة بمعناها الدقيق لا يمكن أن يشتغل بها، كما يقول الأستاذ عبد الرحمن بدوي، إلا من عرف الحرية واستطاع أن يوفق بين الأخلاق والسياسة<sup>3</sup>.

وعليه، فالحكيم بالمنظور الأبيقوري هو من يقبل على اللذات المتاحة طوال السنة: لا يتزوج، ينبذ المناصب الحكومية، ينفذ يديه من الشؤون العامة<sup>4</sup>.

تعقيب: إن ما قلناه كتعليق عن الكلية، ينطبق أيضا على الأبيقورية، حيث يصعب علينا أن نتصور معهم أن فقدان الإنسان لحيته السياسية مبرر كاف للعزوف عن النشاط السياسي؟ بل بالعكس،

<sup>1</sup> مصطفى النشار، مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان، مرجع سابق، ص 149/150.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، مرجع سابق، ص 6.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 7.

<sup>4</sup> يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 222.

فقد يكون الحرمان من الشيء دافعا قويا للمطالبة به، وكلما كان الشيء المفقود مهما وحيويا كان الإصرار على طلبه عاليا، وتقديم كل شيء عليه إلى أن يتم انتزاعه ومحاولة الرجوع إلى الحالة الطبيعية، والتي هي المتمتع بالحرية، ولنا في التاريخ المعاصر أكثر من مثل.

#### 4- الرواقية : Stoicisme

تعود الرواقية لمؤسسها زينون ( 336 - 264 ق م ) Zénon، بدأت منذ القرن الثالث ق م، وتواصلت حتى القرون الأولى الميلادية تحت الحكم المسيحي الروماني، وأصل التسمية يعود للرواق الذي كان يجتمع فيه أتباع زينون<sup>1</sup>.

قامت الرواقية على أساس فكرة ' العيش وفقا للطبيعة ' أي وفقا لقوانين العقل التي تفرض ضرورة التعاطف مع الآخرين سواء مع الأشياء أو مع البشر، والخضوع التام للقدر خيره وشره حتى يمكن للمرء أن يعيش حياته في سلام وطمأنينة وهدوء داخلي عبروا عنه فيما أسموه بحالة " الأباتيا"<sup>2</sup>.

تتميز الرواقية عن الأبيقورية حيث ظهر التحمس من جديد للسياسة والاهتمام بالنظم من أجل البحث عن أحسنها كما فعل أفلاطون وأرسطو، وفي نظرها لا ينبغي على الناس أن يعيشوا منعزلين تفصل بينهم حدود وحواجز، يخضع كل منهم للقوانين الخاصة بمدينته، بل يجب أن يعتبر كل منهم أنه مواطن في وطن واحد كبير هو المدينة العالمية. فما دام أن الأفراد يعيشون حياة واحدة، يسلكون سلوكا إنسانيا واحدا، فهم جميعا مواطنون عالميون ينتمون إلى مدينة عالمية واحدة<sup>3</sup>.

كما يفصل الرواقيون بين نوعين من المدن أو الدول:

- الأولى : هي التي يولد فيها الفرد.

- الثانية : المدينة الأبعد مدى، وهي التي ينتمي إليها البشر جميعا، ولا تحدها حدود، هي المدينة العالمية.

#### مميزات المدينة العالمية:

1- السيادة فيها لقانون الطبيعة : وهو القانون العالمي الذي يتفق مع حقوق الطبيعة. وقانون الطبيعة هو القانون الدائم الذي يقود البشر إلى الفضيلة، ولا تعني الطبيعة عند الرواقيين الرجوع للأوضاع البدائية التي عرفتها البشرية في غابر عصورها، بل تعني فقط ذلك الوضع الخالد السامي، فالطبيعة هي التي وهبت الحرية والمساواة للجميع، فهم أحرار طبقا لقانون الطبيعة. ومن هنا يختلف الرواقيون عمن سبقهم من فلاسفة اليونان كأرسطو الذي قصر الحرية وحق المواطنة على فئة

<sup>1</sup> جان توشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق، ص 46.

<sup>2</sup> مصطفى النشار، مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان، مرجع سابق، ص 150.

<sup>3</sup> إبراهيم دسوقي أباضة، تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق، ص 81.

محددة من سكان المدينة، أما عند الرواقين، فلا وجود لعبيد بالطبيعة، وأحرار بالطبيعة<sup>1</sup>، بل كل بني البشر متساوون، يشتركون في المواهب والحكمة والحقوق.

2- الإيمان بالواجب الاجتماعي : فإذا كان الأفراد يخضعون للقانون الطبيعي، فهم أيضا يؤمنون بالواجب الاجتماعي وهذا الواجب الاجتماعي هو الواجب نحو المجتمع أو الدولة. وفي هذه النقطة يختلف الرواقيون عن الأبيقوريين الذين ينادون بتجنب الشؤون السياسية: فأبيقور يرى أن العاقل من لا يشترك في أمور الدولة إلا إذا كان هناك سبب قوي يرغبه على ذلك، بينما يرى الرواقيون أن الرجل العاقل هو من يشترك في أمور الدولة إلا إذا كان ثمة سبب قوي يمنعه من ذلك<sup>2</sup>. ويرى الرواقيون أنه يجب على كل مواطن أن يشترك في الدولة الحقيقية الصحيحة التي تقوم على أسس أخلاقية، وهذا الأساس هو العدالة التي تتمثل في القانون الطبيعي.

كما ترى الرواقية أن أصلح نظام حكم أو دستور لهذه الدولة هو دستور الوسط أي الدستور الذي قال به أفلاطون وأرسطو، والنموذج المائل لهذا الدستور: دستور الجمهورية الرومانية حيث تتقاسم في ثلاثة عناصر:

- قنصلان أي حاكمان يمثلان الفردية أو الحكم الملكي.

- مجلس أعلى يمثل الحكم الأرستقراطي.

- جمعيات شعبية تمثل الحكم الديمقراطي.

ولكل عنصر من هذه العناصر الحق في ممارسة السلطة وحق الإشراف والرقابة على العناصر الأخرى، وإذا خرجت الدولة عن هذا الإطار العام والأخلاقي، فيجب على الفرد أن يمتنع من خدمتها ومساعدتها. خاتمة:

إن الأبيقورية أو مذهب الانغماس في اللذات، والكلمية الاستخفافية تهدمان السياسة، فالأبيقورية ترى أن الفضائل والاتفاقات الاجتماعات والحكومة ما هي إلا وسائل لحماية الناس بعضهم من بعض، والسياسة شر لابد منه، لكن الظروف التاريخية قادت الأبيقوريين إلى التآلف بشكل خاص مع الملكية، ومن الخطأ أن نرى فيهم كما حصل بعض المرات، ناطقين باسم الطبقات الشعبية<sup>3</sup>. أما الكلمية فتذهب أبعد من ذلك، أي أن كل هذه المؤسسات محتقرة وعلى الإنسان العيش في عزلة، وهذه كلها طبعا مواقف سلبية استسلامية هدامة.

أما الرواقية، فتعود للسياسة وتشجعها، لكن على الرغم من الدعوة للنظام والدولة الكونية أو العالمية، فإننا نجد الرواقية تدعم النظام الملكي بدافع انتهازي مصلي، وقلما نجد حكما لم يكن

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 82.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 83.

<sup>3</sup> بيار بوانسي، أبيقور، تعريب بشارة صارجي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980 بيروت، ط1، ص 67.

مستشاره الرواق، يعمل كمربٍ أو موجه سياسي خفي<sup>1</sup>، وكثيرا ما دعموا وقدموا المشورة للمستبدين، أما فكرة الدعوة لإقامة دولة عالمية، فهي خيالية تذكرنا بجمهورية أفلاطون المثالية. وهكذا، فالمرحلة الذهبية أو مرحلة الألوهية في الشعب والحضارة اليونانية مثلت فترة الزعماء السبعة أمثال سقراط وبريكليس وشخصيات يقدها اليونان كهوميروس، ثم فترة الانتصار والإبداع هي فترة أفلاطون وأرسطو، ثم بعد أن شاخت الحضارة اليونانية عجزت عن إنجاب فلاسفة قادرين بمفردهم على تأسيس مدارس مبدعة.

### الهوامش:

- جان توشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983..  
جمال الدين بوقلي حسن، إشكاليات فلسفية، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2006.  
ويل ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، 1988، ط6.  
محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999، ط1.  
حربي عباس عطيتو، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، دط.  
عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، بيروت، توزيع دار القلم، 1979، ط5.  
إبراهيم أحمد شلي، تطور الفكر السياسي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1985.  
عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1976.  
أحمد فؤاد الأهواني، المدارس الفلسفية، دار مصر للطباعة، الإسكندرية، 1965.  
عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، توزيع دار القلم، بيروت، 1979، ط5.  
محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 2007، ج2، ط3.  
مصطفى النشار، مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.  
يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت.  
إبراهيم دسوقي أباضة وعبد العزيز الغنام، تاريخ الفكر السياسي، دار النجاح، بيروت، 1983.  
<sup>1</sup> بيار بويانسي، أبيقور، تعريب بشارة صارجي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.

<sup>1</sup> جان توشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق، ص 52.

